خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢٣/٤/١٤م

في مسجد مبارك إسلام آباد تلفورد

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

إن شهادة "لا إله إلا الله" أساس التوحيد. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ.

إذن، من يقول لا إله إلا الله ابتغاء لوجه الله وخالصة لله وخاضعا له يرث أفضال الله تعالى، وكما قال النبي ﷺ إن الله قد حرّم عليه النارَ. وقال في حديث آخر ما معناه أن الله تعالى سيحرّم عليه النار. وهذا هو التعليم الذي جاء به الأنبياء كلهم. وقال النبي ﷺ أيضا: أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبل لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

فهذا هو تعليم الأنبياء كلهم. ولكن لسوء الحظ إن أقوام هؤلاء الأنبياء أنفسهم الذين أعطَوا هذا التعليم نسوه وجعلوه وسيلة الشرك مباشرة أو بصورة غير مباشرة، ونسوا التعليم الحقيقي. نحن سعداء لأن الله تعالى وفقنا للانضمام إلى أمة النبي ﷺ وأعطانا تعليما قضى على الشرك كليا. وقد علّمنا النبي ﷺ التوحيد الحقيقي وبذلك ساعدنا على تحسين دنيانا وعقبانا.

فمن عمل بتعليم النبي ﷺ الحقيقي وأقرّ بوحدانية الله تعالى بإخلاص القلب، ورث أفضال الله تعالى وينال نصيبا من شفاعته ﷺ أيضا. وقد قال النبي ﷺ عن شفاعته: أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ. إذن، إن الإقرار بـــ لا إله إلا الله بصدق القلب ضروري للاستفادة من شفاعة النبي ﷺ. ومن لم تكن في قلبه شائبة من شوائب الدنيا هو الذي ينال نصيبا من شفاعته ﷺ. إن النبي ﷺ هو النبي الأخير والكامل الذي أعطاه الله تعالى حق الشفاعة. والإيمان به ﷺ أيضا ضروري بحسب أمر الله تعالى. وقد ذكر النبي ﷺ هذه المكانة بنفسه قائلا: مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ. وقد ورد في رواية "لا

إله إلا الله" فقط وفي رواية أخرى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه. إذن، إن إقرار التوحيد لا يمكن الآن بدون الإقرار بكون النبي ﷺ نبيا أخيرا وكاملا. إن النبي ﷺ هو الذي أعلن بالقضاء على الشرك كليا في أمته. وقد أبدى الله تعالى ورسوله براءة كاملة ممن يرتكب أدنى نوع من الشرك. ومع ذلك يوجد في المسلمين أناس يرتكبون شركا خفيا؛ وقد منع الله ورسوله منه بشدة. نحن الأحمديون سعداء إذ وفقنا الله تعالى لمعرفة إمام هذا العصر والخادم الصادق لرسول الله ﷺ. ذلك الإمام الذي بيّن لنا أوامر القرآن الكريم بحكمتها وعمقها. فحين أخبرنا بوضوح: أن "لا إله إلا الله"، أخبرنا أيضا إلى جانب ذلك عن مكانة محمد رسول الله ﷺ: والآن سأسرد بهذا الشأن بعض المقتبسات من كلام المسيح الموعود عليه السلام التي تلقي ضوءًا على هذا الموضوع بكل جلاء وتوجه أنظارنا إلى كيفية فحصنا لأنفسنا مدركين عُمق هذا المضمون.

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

قد شرح الله بنفسه قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ﴾ بأن وجود هذه العلامات الثلاث فيه ﷻ أمر محتوم. (لقد ذكر عليه السلام من قبل هذه الأصول) وذكر الأصل الأول: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ والأصل الثاني هو: ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ والأصل الثالث هو: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ فالإسلام هو الدين الوحيد الذي هو مصداق هذا المعيار. على أية حال، يقول المسيح الموعود عليه السلام شارحا الأصل الأول: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾: إن الأصول الإيمانية التي هي العلامة الأولى ويراد بها شهادة "لا إله إلا الله" قد ذُكرت في القرآن الكريم مفصَّلا بحيث لو كتبتُ جميع الأدلة لما وسعتها بضعة مجلدات، فسأكتب قليلا منها على سبيل المثال. يقول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ١٦٥)، أي إن جميع الأشياء المذكورة هنا هي آيات على وجود الله وتوحيده وإلهامه وكونه قادرا على كل شيء.

لاحِظوا الآن كيف استدل الله جلّ شأنه على المبدأ الإيماني هذا بواسطة قانونه في الطبيعة أي بواسطة خلقه الذي يوجد في الأرض والسماء والذي بالتدبر فيها يتبين بجلاء بحسب منطوق هذه الآية أن لهذا العالم خالقا أزليا وكاملا وواحدا لا شريك له وقادرا على كل شيء ومرسِل رسله إلى الدنيا. والسبب في ذلك أن جميع أنواع خلق الله وسلسلة نظام العالم الذي نراه بأم أعيننا يوحي بجلاء أن هذا العالم

لم يأت إلى حيّز الوجود من تلقاء نفسه بل له موجد وخالق، ومن صفاته الضرورية أن يكون رحمانا ورحيما وقادرا على كل شيء وواحدا لا شريك له، أزليا وأبديا وجامعا لجميع الصفات الكاملة ومنزِّل الوحي أيضا.

(إذن، إن قول "لا إله إلا الله" لا يُنشئ فقط فكرة معبود واحد في القلب، بل يرسخ أيضا في القلب أن إلهنا هو الإله الذي موجود من الأزل وسيبقى إلى الأبد. وهو خالق كل مخلوق، وبإذنه فقط يجري نظام هذا الكون، ويجب أن نخضع أمامه وحده بشأن جميع الحاجات. فحين يرتقي الإيمان إلى هذه الحالة يصبح كاملا ولا تشوبه شائبة الشرك. وعن هذا الإيمان يقول رسول الله ﷺ إن نار جهنم محرمة على المؤمنين بـــ لا إله إلا الله مخلصين.)

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام: ليكن معلوما عن الاستعانة أن الله وحده يستحق أن يُطلب منه الاستمداد. (أي أن الله تعالى وحده يستحق أن يستعين به الإنسان وهو وحده القادر على الإعانة. وهو الذات الكامل الذي يجب أن يُستعان به، ولا يحق ذلك لغيره لأنه لا يقدر على الإعانة أحد سواه) وهذا ما أكّد عليه القرآن الكريم فقال: "إياك نعبد وإياك نستعين". فأورد أولا الصفات الإلهية: "الرب"، "الرحمن"، "الرحيم"، "مالك يوم الدين"، ثم علّم: "إياك نعبد وإياك نستعين". أي نطلب النصر أيضا منك لهذه العبادة، إذ لا نقدر على عبادتك دون إعانتك. من هنا تبين أن الله تعالى وحده يستحق الاستمداد. ولا يملك هذا الحق إنسان أو حيوان ودابة أو طير وليس لأي مخلوق آخر هذا الحق في السماء ولا في الأرض، غير أنه قد أُعطي أهلُ الله ورجالُه هذا الحق في الدرجة الثانية وعلى سبيل الظلية. (فبإذن الله ﷻ يتم نصرهم نتيجة أدعيتهم). ينبغي ألا لنا أن نخترع من عند أنفسنا أي شيء، بل يجب علينا أن نكون ضمن ما قال الله تعالى ورسوله ﷺ، وهذا ما يسمى الصراط المستقيم. وهذا الأمر يمكن فهمه جيدا من كلمة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" أيضا، فالواضح من جزئها الأول أنه يجب أن يكون اللهُ تعالى هو وحده محبوبَ الإنسان ومعبوده ومطلوبه، أما جزؤها الثاني فهو إظهار لحقيقة رسالة محمد رسول الله ﷺ.

ثم يقول حضرته عليه السلام: إن السنّة الإلهية المستمرّة منذ خلقِ الإنسان وإلى أن يفنى وجوده هي أنه ﷷ يحمي التوحيد دومًا. إن جميع الأنبياء الذين أرسلهم الله إنما بُعثوا لترسيخ عبادته في الدنيا بالقضاء على عبادة الناس والمخلوقات الأخرى، وكانت غايتهم الوحيدة أن يتجلّى في الأرض مضمونُ "لا إله إلا الله" كما يتجلّى في السماء. وإن أعظَمَهم شأنًا هو ذلك الذي أكثرُهم جلاءً لهذا المعنى، والذي كشف

عن ضعف الآلهة الباطلة، وأظهَرَ تفاهتَها بالعلم والقوة؛ وبعد أن برهَنَ على كل هذه الأمور، تَرَكَ لذلك النصر المبين تذكارًا خالدًا هو: "لا إله إلا الله محمد رسول الله". وإنه لم يدّعِ أن "لا إله إلا الله" دونما دليل، بل دعم هذه الحقيقة أوّلاً بالبراهين القوية، وكشف خطأ الشرك بالأدلّة الدامغة؛ ثم لفتَ أنظار الناس إلى أن لا إله إلا الله الذي حطّم قواكم كليةً، وكسر غطرستكم تمامًا. فتذكارًا لهذه الحقيقة الثابتة عَلَّمَنا تلك الكلمةَ المباركة الخالدة: "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

عند فتح مكة لاحظ آلاف الوثنيين أفضلية لا إله إلا الله، فحين سأل النبيُّ ﷺ أبا سفيان، ألم تتجل عليك حقيقةُ لا إله إلا الله حتى الآن؟ قال بلى قد أدركت تماما أنه لو كان هناك إله غير الله، لنصرَنا قليلا، فقد وضعنا هنا ثلاثمئة وستين صنما نعبدها كان يجب أن تنصرنا بعض الشيء.

ثم قال حضرته ردا على اعتراض أحد المعارضين: وقولك إن من تعاليم سيدنا النبي المقدس ﷺ أن من قال "لا إله إلا الله محمد رسول الله" غُفرت له ذنوبه، هذا حق تماما وحقيقة ثابتة. (أي أن ما تقول بأن الذنوب تغفر هو صواب تماما وحقٌّ) فالذي يعدّ الله ﷻ واحدًا لا شريك له ويؤمن بأن الله القادر الأحد هو الذي أرسل محمدًا المصطفى ﷺ، ويموت على هذه الكلمة فسينال النجاة. فلن ينجو أحد تحت السماوات بانتحار أحد فهو من المستحيل. ومن يكون أكثر جنونًا ممن يعتقد بذلك. (أي لا تتحقق النجاة بموت أحد من أجلكم، إنما النجاة بالشهادتين) ولكن الاعتقاد بأن الله واحد لا شريك له، وهو رحيم وأنه أرسل رسوله محمدًا المصطفى ﷺ رحمةً لخلقه ليخرجهم من الظلمات إلى النور اعتقاد يُبعد يقينًا ظلمات الروح وأهواء النفس وتحل محلهما الوحدانيةُ، ثم يحيط بالقلب كله حماسٌ عظيم للوحدانية وتبدأ حياة الجنة من هذه الدنيا. (يجب إدراك حقيقة لا إله إلا الله محمد رسول الله، عندها تبدأ حياة فردوسية في هذه الدنيا). كما ترون أن الظلمة تنقشع بمجيء النور كذلك عندما يقع ظل " لا إله إلا الله " النوراني في القلب تنعدم أهواء النفس الظلامية. إن حقيقة الذنب هي أن تصرخ الأهواء النفسانية بفعل شائبة من التمرد، ويُدعى الإنسان مذنبا في حال المضي في سبيلها. ويتبين معنى "لا إله إلا الله" من مصادر اللغة العربية هو "لا مطلوب لي ولا محبوب لي ولا معبود لي ولا مطاع لي إلا الله". وإذا تحققت هذه الحالة فمن المؤكد أن الحياة تصبح جنة، وتبدأ ظهور وسائل المغفرة في هذه الدنيا بالذات.

ثم قال حضرته عليه السلام موضحا كلمة لا إله إلا الله أكثر: الحق أن الله تعالى أعطى أحكاما كثيرة ومنها ما لا يتيسر العمل به للجميع. ومثالها الحج. فهو واجب على من استطاع إليه سبيلا. (فهو غير واجب

على كل واحد) ويجب أن يكون السبيل آمنا وأن يكون معاش معقول مهيأً لمن خلفه من ذويه، (أي أن أهل البيت الذين يتركهم المرء خلفه يجب أن يوفر لهم الأكل والشرب، ولا يجوز أن يخرج إلى الحج تاركا أهل بيته جياعا)، فإذا تحققت مثل هذه الشروط عندها يمكن للمرء أن يحج. وكذلك الزكاة أيضا لا يؤديها إلا صاحب النِصاب. كذلك تحدث التغيُّرات في الصلاة أيضا. (فهي تقصر في السفر وتجمع في المرض والسفر)

لكن هناك شيء لا تغيُّر فيه قط وهو: "لا إله إلا الله محمد رسول الله". هذا هو الأصل، وأما ما سواه فهو من مكمِّلاته. فالتوحيد لا يكتمل ما لم يلتزم المرء بالعبادات. (أي إذا لم تعبدوا الله فلن تكونوا موحِّدين ولن تؤدوا حق لا إله إلا الله) والمراد من ذلك أن القائل بـــ "لا إله إلا الله" لا يكون صادقا في إقراره ما لم يُثبت عمليا أنه لا مطلوب له ولا مقصود في الحقيقة إلا الله.

(فهذا هو شرط الإيمان، ولا يكفي الإقرار باللسان فقط، إذا قلتم إنه لا إله إلا الله، فلا بد لكم من إثبات ذلك بأعمالكم واستجابتكم لأوامر الله وعبادته، وأداء حقوق الله وحقوق العباد، لأن الله ﷻ قد أمر بذلك. ويجب العمل بأوامر المحبوب والمقصود والمطلوب، عندها يصبح الإنسان عاملا حقيقيا بكلمة لا إله إلا الله، ومؤمنا بها.)

وإذا حصل ذلك في الحقيقة وكان إيمانه وعمله يُثبتان صدق إقراره لن يُعَدّ كاذبا عند الله في هذا الإقرار. (أي إذا تمكن من ذلك فلن يعد كاذبا). إذا احترقت الأشياء المادية كلها وأصابها الفناء بإيمانه، وقوله لا إله إلا الله، وبقي الله ﷻ وحده مطلوبا ومقصودا ومحبوبا، فقد تحقق إيمانه، وعندئذ يتفوه بلسانه: لا إله إلا الله. أما القسم الثاني من هذه الشهادة أي "محمد رسول الله" فهو من أجل النموذج، لأن كل شيء يصبح سهلا نتيجة النموذج والنظير. الأنبياء يأتون لإظهار أسوهم، أما النبي ﷺ فكان جامعا لنماذج الكمالات كلها لأن نماذج جميع الأنبياء مجتمعة فيه.

لقد أدرك النبي ﷺ المفهوم الحقيقي لـــ "لا إله إلا الله"، أي أنه ﷺ عمل بأحكام الله تعالى فشرحها وفسّرها بصورة صحيحة، وكان ﷺ الأسوة الكاملة التي أرتْ صورة "لا إله إلا الله" والعمل بها على وجه أكمل.

ثم ينصحنا المسيح الموعود عليه السلام فيقول: "إن البيعة الشكلية لا تجدي نفعًا، والتوفيق لمثل هذه البيعة النافعة أمرٌ صعب. إنما ينال المرء نصيبا منها إذا تعلّقَ بمن بايعَ على يده بكامل الحب والإخلاص، متخليًا عن وجوده كلية. (أي لا تنفعكم البيعة إلا إذا صرتم بكل محبة وإخلاص مع الذي بايعتموه)

لقد ظل المنافقون غيرَ مؤمنين (مع أهم بايعوا ظاهريًّا) و لم يتحلّوا بحب وإخلاص حقيقيين، فلم ينفعهم قولُهم بأفواههم: "لا إله إلا الله". فتقوية هذه الأواصر أمرٌ بالغ الأهمية. إذا كان المريد لا يقوّي هذه الصلات أو لا يسعى لذلك، فلا جدوى من شكواه وتأسفه. لا بد من تقوية علاقة الحب والإخلاص مع المرشد والتصبغ بصبغته في قدوته ومعتقداته قدر المستطاع. النفس تمنّي الإنسان بطول العمر، (أي يرى الإنسان أن عمره طويل ولازال كثيره باقيًا لأنه لا يزال شابًّا) وهذه خدعة منها. لا ضمان للعمر، فسارِعوا إلى الصلاح والعبادة، والمحاسبةِ من الصباح إلى المساء."

أي يحاسب المرء نفسه ليرى ماذا يعمل وإلى أي مدى يعمل بـــ"لا إله إلا الله". هذا ما نصحنا حضرته ﷺ. ثم نبّهنا حضرته ﷺ إلى ضرورة فهم معنى "لا إله إلا الله" والسعي لأداء حقها فقال: لا أقصد أن يكون المسلمون كسالى. (أي لا أقصد أنه كفى هم أهم نطقوا بالشهادة ثم يمكنهم أن يتكاسلوا) لا يجعل الإسلام أحدا كسولا. كلا، بل ينبغي أن ينشغلوا بتجاراهم ووظائفهم، ولكني لا أرضى بألا يوفّروا شيئًا من أوقاهم لله تعالى. (لا شك أهم ينطقون بشهادة لا إله إلا الله ولكنهم لا يوفّرون وقتًا لأداء حق الله تعالى من شدة انشغالهم بالدنيا) فليتاجروا وقت التجارة، ولكن مع خوف الله وخشيته، لكي تتصبغ تجاراهم أيضا بصبغة العبادة. ولا يتركوا الصلوات عند مواقيتها، وأن يؤْثروا الدين في كل أمر، (لا بدّ من إيثار الدين، وهذا ما نتعهد به في عهدنا في البيعة أننا سنؤثر الدين على الدنيا) ولا تكون الدنيا هي جُلّ همّهم، بل يكون الدين هو غايتهم المنشودة، وعندها ستتحول أشغال الدنيا أيضا إلى أعمال الدين. انظروا كيف أن الصحابة لم يتركوا الله تعالى في أحلك الظروف وأصعبها. إن وقت القتال وضرب السيوف وقت خطير جدا بحيث يصاب المرء بقلق شديد بمجرد تصوره، ولكن الصحابة ما غفلوا عن الله تعالى في ذلك الوقت العصيب الذي هو وقت فورة الحماس والغضب، و لم يتركوا الصلوات، بل لجأوا إلى الدعاء. أما اليوم فمن سوء حظ المسلمين أن زعماءهم يبذلون أقصى جهودهم، ويلقون خطبًا رنّانة كثيرة، (حيث يتحدثون عما يتعلق بـــ لا إله إلا الله) ويعقدون اجتماعات وندوات، ويدعون القوم للنهوض والتقدم. يفعلون كل ذلك ولكنهم غافلون عن الله تعالى بحيث لا يفكرون فيه أبدًا ولو بدون قصد. وما داموا قد صاروا للدنيا كلية، فكيف يرجى أن تكلل جهودهم بالنجاح. (إنما سعيهم للدنيا، بينما يستخدمون لنيلها اسم الإسلام واسم دين الله) اعلموا أن التقدم لن يتأتى من دون أن يسري "لا إله إلا الله" في القلوب والأرواح، وما لم تصبح كل ذرة من الكيان منورة بنور الإسلام وخاضعة لحكم الإسلام."

فإذا كنتم تريدون إحراز الرقي فلا بد لكم أن تدركوا مفهوم لا إله إلا الله، ولا بد أن تجعلوا الله تعالى، لا الدنيا جلّ همكم.

ثم يذكر حضرته ﷺ حقيقة كلمة الشهادة ومعانيها وكيف ينبغي أن نفهمها ونعمل بها فيقول:

"لقد قلت مرارا بأنه يجب ألا تفرحوا على أنكم تسمّون مسلمين وتعتقدون بـــ "لا إله إلا الله". الذين يقرأون القرآن يعرفون جيدا أن الله لا يرضى بالقيل والقال باللسان فقط. ولا تنشأ في الإنسان ميزة بمجرد الكلام ما لم تكن حالته العملية صحيحة. (إن الكلام باللسان المجرد لا يعني شيئا، والشيء الحقيقي هو العمل، ولا يحدث تقدّم ما لم تكن الحالة العملية صحيحة) لقد أتى على اليهود أيضا وقت حين لم يبق فيهم إلا ثرثرة اللسان واكتفوا بالكلام باللسان فقط. فكانوا يقولون بألسنتهم كثيرا ولكن كانت قلوبهم مليئة بأفكار سيئة ومواد سامة كثيرة لذلك أنزل الله على هؤلاء القوم أصناف العذاب وصبّ عليهم ألوان المصائب وأذلهم حتى جعلهم قردة وخنازير. يجب التأمل هنا ألم يكونوا مؤمنين بالتوراة؟ كانوا يؤمنون بها حتما وكانوا يؤمنون بالأنبياء أيضا ولكن الله تعالى لا يرضى بأن يؤمنوا باللسان فقط دون أن توافق قلوبهم ألسنتهم. (أي أنهم يتفوّهون بألسنتهم ولا تتفق معها قلوبهم.) يقول حضرته:

يجب التذكر جيدا أن الذي يقول باللسان أنه يؤمن بالله واحدا لا شريك له ويؤمن بنبوة رسول الله ﷺ، كذلك يؤمن بالأمور الإيمانية الأخرى، ولكن إذا كان هذا الإقرار مقتصرا على اللسان فقط ولا يعترف به القلب لكان كلامًا محضًا. (لا يكفي الكلام بالأفواه ما لم يخرج الصوت من القلوب) ولن يكون ذلك مدعاة للنجاة قط ما لم يؤمن قلب الإنسان. والمراد من الإيمان هو أن يُظهر كل هذا بعمله وإلا لن تستقيم الأمور.

(ما هي الحالة العملية؟ إنما هي العمل بأحكام الله تعالى الواردة في القرآن الكريم بكل وضوح.) يقول حضرته:

أقول صدقا وحقا بأنه لا يُنال المراد الحقيقي ما لم يتوجه الإنسان إلى الله نابذا كل شيء وراء ظهره. ويوثر الدين على الدنيا على وجه الحقيقة (أي لن يتحقق شيء بمجرد التعهد بل لا بد من إيثار الدين على الدنيا.) يقول حضرته:

تذكّروا أن الإنسان يستطيع أن يخدع الناس، فيمكن أن ينخدعوا نظرا إلى أنه يصلي خمس صلوات ويكسب الحسنات، (إن الناس عندما يرون أحدًا يأتي المسجد ويؤدي النوافل يقولون إنه ملتزم بأداء

الصلوات الخمس في المسجد، وعندما يرون أحدًا يعمل حسنة أخرى أو يدفع التبرعات فيقولون عنه إنه رجل صالح، وعليه فيمكن أن ينخدع الناس) ولكن الله تعالى لا ينخدع أبدا، لذا يجب أن تكون الأعمال ناتجة عن الإخلاص. وهذا ما يُنشئ الصلاحية والجمال فيها.

ما معنى كلمة الشهادة التي نقرأها كل يوم؟ معناها أن الإنسان يقر بلسانه ويصدّق بالقلب بأنه لا معبود له ولا محبوب ولا مقصود إلا الله. (وهذا ما ذكر سابقا أيضا)

إن كلمة "إله" تعني المحبوب والمقصود والمعبود الحقيقي. (أي ينبغي أن يحب الإنسان اللهَ تعالى أكثر من كل شيء، وأن يكون هو مقصوده الحقيقي الذي ينبغي أن يسعى للوصول إليه، وألا يكون هدفه تحقيق الغايات الدنيوية، وأن يعبده وحده وألا يكون فيه شرك ولو بشكل خفي،) قال حضرته: إن كلمة "إله" تعني المحبوب والمقصود والمعبود الحقيقي. هذه الكلمة التي عُلِّمها المسلمون هي ملخّص تعليم الإسلام كله لأن حفظ الكتاب الكبير والمبسوط ليس سهلا لذا فقد عُلِّمت هذه الكلمة لكي يجعل الإنسان لبّ التعليم الإسلامي نصب أعينه دائما. (وما هو اللب؟ هو "لا إله إلا الله"، أي لا معبود لي ولا مطلوب ولا مقصود ولا محبوب إلا الله) وما لم تنشأ هذه الحقيقة في الإنسان فلا نجاة له حقًّا، لذلك قال النبي ﷺ: "مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ" (مسند أحمد، كتاب من مسند القبائل) أي من قالها بصدق القلب دخل الجنة. يخطئ الناس حين يظنون أن الإنسان يدخل الجنة بترديده الكلمة كالببغاء. لو كانت حقيقتها مقتصرة على ذلك فقط لبطلت الأعمال كلها، (لو كان ترديد "لا إله إلا الله" يكفي لدخول الجنة لما كانت هناك حاجة للأعمال ولا لجميع الأوامر المفصلة في القرآن الكريم) ولصارت الشريعة لغوا، والعياذ بالله. بل حقيقتها أن يدخل المفهومُ الذي وُضع فيها قلبَ الإنسان في صورة عملية، وعندما يتحقق ذلك في أي إنسان يدخل الجنة في الحقيقة، (أي إذا أدرك الإنسانُ حقيقة الكلمة "لا إله إلا الله" دخل الجنة.) ليس بعد الممات بل يدخلها في هذه الحياة. (الملفوظات)

كان حضرته يتحدث عن ذلك في موضع فنقلت جريدة أخرى بعض الأمور الأخرى أيضا، فكتبت: قال عليه السلام: لا علاقة لله بالكلمات بل يرى ما في القلوب. المراد من ذلك أن الذين يُدخلون مفهوم هذه الكلمة في قلوبهم في الحقيقة وتترسخ عظمة الله في قلوبهم كليا يدخلون الجنة. عندما يعتقد أحد بكلمة الشهادة حقًّا لا يبقى أحد حبيبا عنده إلا الله (إذا أقرّ بكلمة الشهادة بصدق فلا يمكن أن يكون أحد محبوبا ومعبودا يعبده سرّا غير الله) ولا معبودا سوى الله ولا أحد مطلوبا إلا الله. (لا يطلب إلا

رضا الله) إن مقام الأبدال والأقطاب والأغواث هو أن يؤمن المرء من الأعماق بكلمة الشهادة "لا إله إلا الله" ويعمل بمفهومها الحقيقي. (الملفوظات)

ثم قال ؑ في هذا الصدد:

صحيح تماما ويُفهم بسهولة أنه إن لم يكن للإنسان محبوب ومقصود سوى الله فلا يؤذيه ألم ولا مصيبة. (إذا فهم الإنسان أن مصائبه هي لوجه الله فلا يشعر بالأذية ولا يقلق لها لأنه يعلم أن الله يأتي لنصرة وليِّه ويهب له السكينة في بعض الأحيان بل في كثير من الأحيان) هذا هو المقام الذي يناله الأبدال والأقطاب. (إذا كان الهدف فوزا بالله وليس فوزا بالدنيا فلا يكون قلق، لقد فهم الصحابة هذه النقطة، ولا يعني أن القطب والأبدال والخاصة فقط ينالون هذا المقام، بل معظم الصحابة نالوا هذا المقام وفهموا هذه النقطة لذلك أمرنا الله تعالى أن نقتدي بالصحابة) لا تظنوا أن الأمر لدينا يقتصر على أننا لا نعبد الأصنام (وبعد أن ذكر بأن هذا المقام عظيم جدا قال لعامة الناس لا يكفيكم القول بأننا لا نعبد الأصنام) بل إننا نعبد الله وحده، واعلموا أن عدم عبادة الإنسان للأصنام هي الدرجة الدنيا، فالهندوس الذين لا يعلمون الحقائق أيضا تركوا عبادة الأوثان الآن. (أي مع أنهم لا يعرفون مفهوم العبادة وحقيقة وحدانية الله بالرغم من ذلك يتركون عبادة الأصنام.)

ليس المراد من المعبود أن يعبد المرء إنسانًا أو أوثانا فقط بل هناك آلهة أخرى أيضا، (ليس الشرك أن يعبد المرء إنسانا أو أوثانا فقط بل هناك آلهة أخرى غير هذه الآلهة الظاهرية) وهذا ما قال الله تعالى في القرآن الكريم أن أهواء النفس ومغرياتها أيضا آلهة. (أهواء النفس ومغرياتها أيضا تصبح آلهة حين تقابل الله وتُبعد المرء عن كلمة "لا إله إلا الله") فالذي يعبد نفسه أو يتّبع أهواءه وأطماعه ويكاد يموت في هذا السبيل أيضا مشرك ويعبد الأوثان. إن حرف "لا" هنا (أي في كلمة الشهادة) لا يفيد نفي الجنس فحسب، بل ينفي الآلهة من كل نوع (أي حين يقول "لا إله إلا الله" فلا ينفي الآلهة الظاهرة فقط أو الأشياء المادية فقط، بل كل شيء يجعله المرء مقابلَ الله فهذا يُظهر أنه لا يؤمن بالله تعالى حقيقة،) فقال حضرته ؑ: ينفي الآلهة من كل نوع سواء أكانت في النفس أو في الآفاق، وسواء أكانت كامنة في القلب أو كانت أوثانا ظاهرية. فمثلا إذا اعتمد أحد على الأسباب فقط فهي أيضا نوع من الوثن. إن مثل الوثنية كمثل السل الذي يقتل ضحيته داخليا. الأوثان العادية تُعرف بسهولة والتخلص منها أيضا سهل وأرى أن آلاف بل مئات الآلاف من الناس قد تخلوا عنها ولا يزالون يتخلون. ألم يُسلم الكثير من الهندوس في هذا البلد الذي كان مليئا بهم، وألم يتركوا الوثنية؟ (هؤلاء

المسلمون كانوا عبدة الأوثان فأسلموا) وهناك بعض الفِرق من الهندوس أيضا الذين لا يعبدون الأوثان الآن، ولكن مفهوم الوثنية لا يقتصر على ذلك فحسب. صحيح أن الناس تركوا عبادة الأوثان بصورة ظاهرية، ولكنهم مازالوا يتأبطون آلاف الأوثان. والذين يُدعَون الفلاسفة وعلماء المنطق أيضا لا يستطيعون أن يُخرجوا الأوثان من بواطنهم. (الفلاسفة وعلماء المنطق الذين يقدمون كثيرا من الأمور الفلسفية والأدلة المنطقية، ولكنْ في قلوبهم أوثان إذ يتبجحون بعلمهم، فيجعلونه وثنا، ويجعلون نظرياتهم أوثانا لهم، لا يستطيعون أن يخرجوا هذه الأوثان من قلوبهم.)

الحق أن هذه الجراثيم لا يمكن أن تخرج إلا بفضل الله تعالى. إنها جراثيم دقيقة جدا وهي الأكثر ضررا من غيرها. والذين يتعدون حقوق الله وحدوده متأثرين بأهواء النفس ويُتلفون حقوق العباد ليسوا جاهلين بل ألوف منهم علماء ومشايخ، وكثير منهم يُدعون فقهاء وصوفية ومع ذلك تراهم مصابين بكل هذه الأمراض. (إذا كانوا لا يؤدون حقوق العباد فحينها أيضا ينسون مفهوم "لا إله إلا الله") إن اجتناب هذه الأوثان هي الشجاعة بعينها ومعرفتها هي الفطنة والعقل. (لعلكم ترون كبار الناس وتحسبونهم كبار الصلحاء ولكنهم أيضا يكنون في أنفسهم أوثانا، واجتناب هذه الأوثان الباطنية هو الشجاعة، وإذا أدّى المرء حقوق الله وحقوق العباد بشكل كامل تبيّن أنه قد فهم معنى "لا إله إلا الله" وهذه هي الشجاعة.) هذه الأوثان هي التي تسبب النفاق بين الناس وتُسفك دماء الآلاف. يغصب الأخ حق أخيه. كذلك تصدر بسبب ذلك آلاف السيئات كل يوم وفي كل حين وآن، وقد اعتمدوا على الأسباب بحيث اعتبروا الله تعالى كعضو معطل. هناك قلة قليلة جدا من الذين أدركوا مفهوم التوحيد الحقيقي، ولو قيل لهم ذلك قالوا فورا: ألسنا مسلمين؟ ألا ننطق بالشهادتين؟ من المؤسف أنهم يظنون أن النطق بالشهادتين باللسان يكفي. أقول باليقين إنه لو علم الإنسانُ حقيقة كلمة الشهادة والتزم بها عَمليًا لتقدمَ تقدما عظيما، وشاهد عجائب قدرات الله. اعلموا جيدا أن المقام الذي أنا قائم عليه ليس مقام واعظٍ عادي، ولست قائما لسرد قصص وحكايات، بل قمت لأداء الشهادة، وسوف أبلغ الرسالة التي كلّفني الله بها، ولا يهمّني هل يسمعها أحد أم لا، ويقبلها أم لا. أنتم الذين ستُسألون عن ذلك وتجيبون، وما علي إلا أن أؤدّي واجبي. أعلم أن كثيرا من الناس داخلون في جماعتي ويقرون بالتوحيد أيضا، ولكني أقول بكل أسف إنهم لا يؤمنون. الذي يغصب حق أخيه، أو يخون، أو لا يكفّ عن سيئات أخرى لا أرى أنه يؤمن بالتوحيد، لأن التوحيد نعمة إذا نالها الإنسان فلا تلبث أن تُحدث فيه تغيُّرا خارقا للعادة (أي يجب أن يحدث تغيير طيب في من يؤمن بالتوحيد) فلا تبقى فيه

أوثان البُغض والحقد والحسد والرياء وغيرها، وينال قربَ الله تعالى. وهذا التغير لا يحدث فيه ويصبح موحدا صادقا إلا حين يتخلص من الأوثان الباطنة الخفية مِن كِبر وعُجب ورياء وحقد وعداء وحسد وبُخل ونفاق ونكثِ عهدٍ وغيرها. وما دامت هذه الأوثان موجودة بداخله فأنّى له أن يكون صادقا في قوله "لا إله إلا الله"؟

في رمضاننا هذا يجب على كل واحد منا أن يسعى ليطهر باطنه من هذه الأوثان أيضا لكي يدرك المفهوم الحقيقي لكلمة لا إله إلا الله ويؤمن بها. ثم قال العَلَيْهِ: لأن المقصود منه هو نفيُ الاتكال على ما سوى الله تعالى. من المؤكد تماما أن قول المرء بلسانه فقط إني أؤمن بأن الله وحده لا شريك له، لا ينفعه شيئا، لأنه ينطق بالشهادتين باللسان من ناحية، ومن ناحية أخرى لو وقع بعد ذلك فورًا أمرٌ ينافي طبعه، فلا يلبث أن يتخذ الغيظ والغضب إلهًا له. أقول مرة بعد أخرى تذكّروا دائما أن هذه الآلهة الخفية ما دامت موجودة فيكم فلا تتوقعوا أبدا أنكم ستبلغون المقام الذي يبلغه الموحد الحقيقي. فكما أن الفئران إذا بقيت موجودة في الأرض فلا تظنوا أنكم في مأمن من الطاعون، كذلك فإن هذه الفئران (أي فئران السيئات) ما دامت موجودة فيكم، فإن الإيمان في خطر. فاسمعوا جيدا وعوا ما أقول لكم واسعوا للعمل به.

ثم قال العَلَيْهِ: ملخص كلامي عن كلمة الشهادة هو أنه يجب أن يكون الله تعالى هو معبودكم ومحبوبكم ومقصودكم. ولن تنالوا هذا المقام إلا إذا تطهرتم من كل أنواع السيئات الباطنية، وأخرجتم الأوثان التي في قلوبكم.

وفقنا الله جميعا لأن نسعى وندعو في الأيام الباقية من رمضان خاصة لكي نتطهر من كل السيئات الموجودة في بواطننا، وأن نجتنب كل نوع من الشرك الخفي، ونخرج كل نوع من الأوثان من قلوبنا، وأن يكون الله وحده معبودنا ومقصودنا ومحبوبنا، وأن ندرك حقيقة "لا إله إلا الله"، وأن نجعل الأسوة الحسنة التي قدمها لنا رسول الله ﷺ نصب أعيننا ما دمنا أقررنا بأن محمدا رسول الله.

ولكن هذه الأمور كلها لا يمكن أن تتحقق لنا بدون فضل الله تعالى. لا مناص لنا من أن نقوم بجهاد عَملي وروحاني لكي نستنزل علينا فضل الله تعالى. في العشر الأواخر من رمضان، نتحدث عن ليلة القدر، ولكننا لن نفوز بليلة القدر حقًّا إلا إذا صرنا مستعدين لجعل كل قول وفعل لنا موافقًا لأحكام الله تعالى، وعملنا بتعاليمه تعالى، ثم جعلناها جزءا لا يتجزأ عن حياتنا. هذه هي العلامة الحقيقية للفوز

بليلة القدر، أما أننا رأينا ضوءًا أو شيئا آخر، وشعرنا بشيء كذا، أو نزل المطر، أو شممنا رائحة، فهي أمور مؤقتة وعابرة فقط، إنما العلامة الحقيقية بالفوز بليلة القدر أن يحدث في قلوبنا انقلاب.

لقد رتبت بعض فروع الجماعة برنامجا خاصا للدعاء في هذه الأيام، وذلك نظرًا لما قلتُ في مناسبة إننا لو دعونا الله تعالى ثلاثة أيام مخلصين فيمكن أن يظهر لنا فضل الله الخاص. ولكني أقول إن كان هؤلاء قد خصصوا هذه الأيام الثلاثة للقيام بالدعاء خاصة، ليعودوا بعدها إلى عيشتهم السابقة وينسوا المقصود الحقيقي من "لا إله إلا الله"، فليعلموا أن الله تعالى يرى ما في قلوبنا ويعلم نياتنا، ولا يخفى عليه شيء، لذا فلا فائدة من مثل هذا التصرف. فإن كنتم تريدون قضاء هذه الأيام الثلاثة في الأدعية للفوز برضا الله تعالى حقًا، فعليكم أن تقضوها مع عهدٍ منكم بأنكم ستجعلون هذه الأيام الثلاثة جزءا لا يتجزأ من حياتكم، وعندها سوف يُظهِر الله لنا تأييده ونصرته خاصةً لدفع أنواع الأذى والعناء الذي يصبّه علينا المعارضون، وإذا صرنا لله تعالى فسوف يكون الله وليا لنا وفق وعده.

على كل حال، لقد كنتُ قلت عندها أيضا إن هذا الانقلاب سيحدث إذا ما أحدث كل فرد من الجماعة بدون استثناء التغييرَ الطيب في نفسه على هذا النحو.

وتذكروا أيضا أنه إذا لم يحدث هذا التغير الطيب لكي يبقى فيكم بعد الأيام الثلاثة أيضا، فيجب ألا يظن الإخوة الذين رتبوا برنامج الدعاء هذا أن الله تعالى لا يستجيب لأدعيتنا -معاذ الله- وأنه لن يحصل أي انقلاب. كلا، بل إن الله تعالى قد وعد سيدَنا المسيح الموعود عليه السلام وجماعتَه بأنه سيعطيهم الفتوحات والانتصارات عاجلا أو آجلا. أجل، إذا أحدثنا في أنفسنا تغييرات ثورية، وأدركنا حقيقة لا إله إلا الله، واتخذنا الله وحده معبودنا ومقصودنا ومحبوبنا، وصار الله تعالى أحبَّ إلينا من الدنيا، وصار هدفنا أن نفوز بالله تعالى، أقول إذا فعلنا ذلك فإن هذا الانقلاب يمكن أن يأتي عاجلا أيضا. إن الله غني عن العالمين، وتكون وعوده مشروطة بشروط أيضا، لذا فلا بد لنا من أن نعاهد الله على إحداث تغييرات طيبة ذات صفة دائمة. لقد قال النبي ﷺ إن العشر الأواخر من رمضان نجاة من جهنم، كما قال أيضا مَن قال لا إله إلا الله بصدق القلب حُرّمت عليه نار جهنم. فكل هذه الأمور تلفت أنظارنا إلى أنه لا بد للإنسان من الأعمال، ولا بد له من المداومة عليها أيضا، وكما قال المسيح الموعود عليه السلام أيضا وقد بينته آنفا بالتفصيل إن قول "محمد رسول الله" بعد "لا إله إلا الله" يعني أنه لا بد من العمل أيضا.

فللاستفادة من العشر الأواخر حقا، وللفوز بليلة القدر فيها، لا بد لنا من أن نجعل "لا إله إلا الله محمد رسول الله" صوتًا نابعا من قلوبنا وعقولنا، ثم لا بد من العمل به في كل موقف، كما قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام.

نسأل الله التوفيق لأن نعيش وفقًا لذلك. عليكم أن تدعوا أيضا في هذه الأيام لأمن العالم واستقراره عموما. رحم الله البشرية وأنزل عليها فضله.